

شَرِبْتُ مَاءً خَيْرًا مِنْ كَثْرٍ

بلقاسم بن حميدة



يُحْكِي أَنَّ رَجُلًا عَلِمَ بِوُجُودِ كَنْزٍ ثَمِينٍ فِي
كَهْفٍ مِنْ كُهُوفِ صَحْرَاءِ بِلَادِهِ، فَقَرَّرَ الذَّهَابَ
إِلَى الصَّحْرَاءِ لِلْبَحْثِ عَنِ ذَلِكَ الْكَنْزِ.



حَمَلَ مَا يَلْزِمُهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَخَرَجَ
قَاصِدًا الصَّحْرَاءَ مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْهِ. سَارَ فِي
الْخَلَاءِ أَيَّامًا وَلَيَالِي حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمُرْتَفَعَاتِ
الَّتِي يُوجَدُ بِهَا الْكَنْزُ.



أَخَذَ يَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ الْكَنْزِ أَيَّامًا حَتَّى كَادَ
يَيْأَسُ. وَ ذَاتَ لَيْلَةٍ بَيْنَمَا كَانَ سَاهِرًا قُرْبَ أَحَدِ
الْكَهُوفِ يُفَكِّرُ فِي حَالِهِ وَ خَيْبَتِهِ، ...



إِذْ بَصَّيْتُمْ مِنَ النَّورِ يَلْمَعُ مِنْ دَاخِلِ ذَلِكَ
الْكَهْفِ فَانْدَهَشَ الرَّجُلُ لِرُؤْيَا ذَلِكَ النَّورِ. ثُمَّ
نَهَضَ وَاسْرَعَ نَحْوَ بَابِ الْكَهْفِ. فَلَمَّا وَصَلَهُ
زَادَ النَّورُ إِضَاءَةً وَتَوَهَّجًا.



لَمْ يَشْكُ الرَّجُلُ فِي وُجُودِ الْكَنْزِ الَّذِي يَبْحَثُ
عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، فَدَخَلَ الْكَهْفَ وَتَوَخَّلَ
فِيهِ مُتَتَبِعًا الضُّوْءَ الْمُنْبَعِثَ مِنْ دَاخِلِهِ حَتَّى
وَصَلَ إِلَى مَصْدَرِ النُّورِ فَوَجَدَ أَكْدَاسًا مِنْ
الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْحُلِيِّ.



حَمَلَ الرَّجُلُ مِنْ ذَلِكَ الْكَنْزِ كَيْسًا كَبِيرًا
وَسَارَعَ بِالرُّجُوعِ إِلَى بَلَدَتِهِ وَ أَهْلِهِ. سَارَ فِي
الصُّحْرَاءِ لَيْلَ نَهَارٍ لَا يَنَامُ وَلَا يَسْتَرِيحُ إِلَّا
قَلِيلًا.



وَفِي يَوْمٍ وَهَجَ شَدِيدِ الْحَرِّ بَيْنَمَا كَانَ يَسِيرُ
سِيراً حَثِيثاً، أَحْسَّ بِعَطَشٍ شَدِيدٍ قَدْ أَصَابَهُ،
فَتَوَقَّفَ عَنِ السَّيْرِ وَجَلَسَ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ
عَنَاءِ تَعَبِهِ، وَ لِيُطْفِئَ لَهَيْبَ عَطَشِهِ. أَخْرَجَ
إِنَاءَ الْمَاءِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ قَطْرَةً وَاحِدَةً.



عَرَفَ الرَّجُلُ أَنَّ الْمَوْتَ قَرِيبٌ مِنْهُ. رَفَعَ رَأْسَهُ
فَرَأَى أَمَامَهُ شَبَحًا وَاقِفًا يَحْمِلُ قَارُورَةً بِهَا مَاءٌ بَارِدٌ،
فَقَالَ لِلشَّبَحِ: إِسْقِنِي مَاءً إِنِّي أَكَادُ أَمُوتُ عَطْشًا»
أَجَابَ الشَّبَحُ: « لَنْ أُعْطِيكَ الْمَاءَ إِلَّا إِذَا
أَعْطَيْتَنِي الْكَنْزَ». فَقَالَ الرَّجُلُ: « خُذْ الْكَنْزَ
كُلَّهُ، وَهَاتِ الْمَاءَ».

